الفصل الأول

تاريخ دراسة الموهبة

ينظر علماء النفس أثناء تعاملهم مع الموهوبين إلي المستقبل، لذلك يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة المستقبلية من هؤلاء الموهوبين.

لقد أخذت العناية بالموهوبين لتنمية قدراتهم دوراً بارزاً في الآونة الأخيرة، وأصبحت قضية قوميَّة تحظي باهتمامٍ كبيرٍ؛ وبخاصَّةٍ حين أخذ المربون يدركون أنَّ تطبيق المساواة في التعليم لا تُساعد علي تنمية المواهب والقدرات الخاصَّة للأطفال، ذلك أنَّ المساواة الحقيقية تتطلَّب منا أن نهتم بكُلِّ فرد بعينه، ونوفر له الحُرِّيَّة والبيئة اللازمتين لتنمية فرديته، وهذا يعني أن نوفر للجميع فرصاً متساوية لتنمية قدرات ومواهب غير متساوية، أي أن نوفر الفرصة لتنمية طاقة كُلّ موهوب ومُعاق، كلٌ حسب طاقته وقدراته، وكذلك الأطفال العاديون الذين لا يتمتعون بأية ميزة خاصَّة.

وقد نشأت في بعض البلدان المتقدمة مؤسسات هدفها الاهتمام بالموهوبين، ووضع برامج خاصَّة بهم، مُركزة علي التفاعُّل بين الإنسان ومصادر البيئة لاستكشاف وسائل من شأنها إحداث التفاعُّل والتكامُّل والتعاون، ووضع سياسة قوميَّة لتربية الموهوبين علي نطاق قومي.

إنَّ من حق الموهوبين علينا أن نوفر لهم فرصاً تربوية، تنمو بها طاقاتهم وقدراتهم الفريدة. تقول البروفسيرة « جان دلب» Jean Delp : «إنَّ المستوي العالي من الذكاء يستوجب من الطالب الموهوب متطلبات مُعيَّنة، تقتضي منه سلوكاً خاصًّا، ومنهاجاً مُعيَّناً، ومن هذه المتطلبات: أن يشعر بالنجاح والتقدُّم والانجاز والتركيز علي كُلِّ ما يقوم به ويتعلَّمه، وأن يُلاحظ مابين الأشياء من علاقات وارتباطات، وأن يكون طموحاً لبلوغ مستوي أفضل، وأن يكون مبدعاً، وأن يُناقش المبادئ العامَّة للوصول إلي حالة التخصيص، وأن يكون جاداً في تفكيره مستغرقاً في عمله، واسع النظر، وأن يكون لديه من البصيرة ما يُمكنه أن يستشرف بعض ما يمكن أن يقع في المستقبل نتيجة التحليل المنطقي والعقلي والربط والاستنتاج، يؤمن بالحق والعدل، ويُعبِّر عن أفكاره بصراحةٍ ووضوح، يسعي إلي التغيير ويقبل التجديد، يتمسك بالنظام ويكره الغباء، لا يقبل كُلّ ما يُعرض عليه إلاَّ بعد النقد والتمحيص، يُقوِّم ذاته ويُقوِّم الآخرين بعين نافذة وموضوعيَّة، ويحاول أن يكون ودوداً، يتذوق الجيد ويُميِّز بينه وبين الردئ، له خط للتعلُّم خاصّ به يسير عليه قد يكون سريعاً وقد يكون بطيئاً، متفوقاً في بعض المجالات، وعاديًّا في بعضها الآخر».

● **ماهية الموهبة :**

قد تتفق المعاجم اللُّغويَّة علي اعتبار الموهبة قدراً واستعداداً فطريًّا لدي الفرد، إلاَّ أن تشعبُّات المفاهيم والمصطلحات التربويَّة وتعدُّد مكوناتها قد تؤدي إلي الخلط في استخدام هذه المفاهيم والمصطلحات٠

لكن يمكن تعريف الموهبة علي أنَّها:« أقصي درجات الاستعداد والقابلية أو القدرة مثل: الموهبة الفنيَّة، أو الموهبة الموسيقيَّة، أو الموهبة اللُّغويَّة، أو الموهبة الحسابيَّة، أو الموهبة الرياضيَّة»٠

والموهبة هي: مستوي القدرات، وأساس مهم للقدرات الخاصَّة، علي أنَّه ينبغي تقييم وجود الموهبة بنتائج النشاط الفردي، الذي يجب أن يتميَّز بالجدَّة والأصالة٠وحيث أنَّ موهبة الإنسان توجهها الحاجة الواضحة للنشاط الإبداعي، فإنَّها تعكس علي الدوام مطالب اجتماعيَّة خاصَّة، ومن ثمَّ تلعب نظرة الفرد إلي العالم، وموقفه الاجتماعي دوراً مهماً للغاية في تطوُّر الموهبة٠

والدكتور «جابر محمود طلبة»، يؤكِّد علي أنَّ الموهبة: عطية تُمنح للإنسان بلا عوض أو غرض، فهناك واهب موهوب،

فالواهب هو الله سبحانه وتعالي، والموهوب هو الإنسان المنعم عليه، إذاً فالمواهب إلهية المصدر، فطرية الاستعداد، اجتماعية التنمية، وهي ميزات طبيعية خاصَّة بالموهوبين لا يستطيع أي إنسان أن يسلبهم إياها، كما لا يستطيع أي إنسان أن يحقنها في الأطفال العاديين حتى يكونوا موهوبين.

● الموهبة..نظرة تاريخية موجزة :

أدرك الإنسان منذ فجر الإنسانيَّة وجود فروق عقلية بين الأفراد قد تعلو بالإنسان فتصل به إلي مراتب الإبداع والاختراع، والحكمة والقيادة، أو تنحدر به إلي مستوي متدني من الضعف العقلي، فهناك اختلاف بين الناس في الذكاء والقدرات العقليَّة، كما هو الاختلاف بينهم في صفاتهم الجسديَّة كالطول والوزن واللَّون والسمات الشخصيَّة الأخري.

وكان الاهتمام بالموهوبين والمتفوقين قديم قِدم المعرفة الإنسانيَّة، فقد تحدث «أفلاطون» Plato (وُلد في عام ٤٢٧ ق.م، وتوفي في عام ٣٤٧ ق. م)، عن طبقة الفلاسفة وميَّزها علي غيرها بالعقل والحكمة وجعلها لذلك أهلاً لتولي زمام القيادة في المجتمع.ويقضي« أفلاطون » في جمهوريته الفاضلة باصطفاء الأطفال الموهوبين حتى في أُسر الفلاحين والصُناع.

وتحدثت الكتابات الإغريقيَّة القديمة عن الموهبة والعبقرية ووصفتهما بأنَّهما نوعٌ من «الجنون المقدس»، أو «الإلهام الإلهي » الذي ينتاب بعض الأفراد ويُساعدهم علي تصوُّر الأمور والتعبير عن الخبرات بلونٍ جديدٍ.

ولم يكن العرب أقل من غيرهم اهتماماً بمن تظهر عليهم علامات النجابة والنبوغ من الأطفال بغض النظر عن أصولهم وبيئاتهم الاجتماعيَّة؛ فأفردت كتب الأدب القديمة فصولاً عن النجباء وما روي عنهم في طفولتهم من قصَّصٍ نادرةٍ، وأعمالٍ باهرةٍ؛ فقد عرَّف أحد قادة العرب الطفل الذكي الموهوب الذي يجب أن يؤهَّل للقيادة، والأعمال الجليلة بأنَّه: قوي الجسم والرضي خُلقاً والمتوقد ذكاءً والذي يُبدي رأياً حصيفاً قبل الآوان.

كما تحدَّث العرب عن« العبقرية » Genius ونسبوها إلي « وادي عبقر»، وهو موضع يزعم البعض أنَّه كثير الجن، وأنَّ كُلَّ شاعر له قرين من بينهم، والعبقري في اللُّغة العربيَّة: هو السَّيِّد الذي ليس فوقه شيء ، أمَّا العبقرية فهي: كُلُّ ما يتعجب من كماله وقوَّته وحذقه.

كذلك نجد السلطان «محمَّد الفاتح» (١٤٢٩ ــ ١٤٨١م) قد أسَّس في القرن الخامس عشر مدرسة خاصَّة في البلاط كان يقبل فيها الأطفال الأكثر جمالاً وقوَّةً وذكاءً من إمبراطوريته الواسعة. وكان من أهداف هذه المدرسة تنشئة أفكار رائعة

في أجسام خشنة لتسليمها مراتب عالية في الدولة، حتى أنَّ بعض المؤرخين كان يُرجع ازدياد قوة تركيا ازدياداً كبيراً في القرن الخامس عشر والقرن السَّادس عشر إلي مبادرة « محمَّد الفاتح » هذه٠

وتذكر الوثائق أنَّ « توماس جيفرسون » Thomas Jefferson (١٧٤٣ ــ ١٨٢٦م) الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكيَّة استوحي من «أفلاطون» فكرة اصطفاء الأطفال، وعمل علي تجميع أفضل العبقريات في ولاية «فرجينيا» Virginia في مدرسةٍ خاصَّة٠

وقد تحمَّس النَّاس والعلماء لـ « كارل ويت » Karl Witte (١٨٠٠ ــ ١٨٨٣م) وهو قاضٍ ألماني، والذي أخضعه والده لبرنامج مكثف من التعليم . وعندما بلغ « كارل ويت » تسعة أعوام، كان قادراً على التحدُّث بكُلٍّ من اللُّغات: الألمانيَّة، والفرنسيَّة، والإيطاليَّة، واللاتينيَّة، واليونانيَّة، وقد حصل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في جامعة « جيسن » الألمانيَّة في العاشر من شهر أبريل عام ١٨١٤م، وعُمْره لم يتجاوز (١٤) عاماً، ما أهّله لإدراج اسمه في موسوعة « جينيس » للأرقام القياسية باعتبارها « أصغر من نال شهادة دكتوراه »، وهو السجل الذي لا يزال قائماً إلى الآن.

وفي بدايات القرن التاسع عشر اتجه الاهتمام العام إلي الأطفال المعجزة، ثُمَّ أسَّس العَالِم الإنجليزي « فرانسيس جالتون» Francis Galton (١٨٢٢ ــ ١٩١١م) علم الأطفال الموهوبين ؛ فوصف طباعهم واهتم بمنشأ العبقرية ونموَّها٠

ثُمَّ اتسع الاهتمام بالأطفال الموهوبين في بداية القرن العشرين وكان العَالِم الأمريكي «جيمس مكين كاتل» James McKeen Cattell (١٨٦٠ ــ ١٩٤٤م) أوَّل مَنْ استعمل لفظ اختبار عقلي؛ ففي عام١٨٩٠م كتب مقالاً بعنوان « المقاييس والاختبارات العقليَّة » ،ومنذ ذلك الوقت تعظم الاهتمام بالموهوبين، واستخدمت المقاييس العقليَّة بعد أن كانت الملاحظات ومستويات الدراسة هي الوسائل المقبولة في الكشف عنهم٠